



## Table of Contents

<b>Muhammad Naim Madjid</b> .....	<b>105-122</b>
التصوير الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب : مفهومه و خصائصه البارزة	
<b>Rahmat</b> .....	<b>123-136</b>
<i>The Articulation of Multicultural Principles of Boarding School in East Luwu Regency</i>	
<b>Baso Pallawagau</b> .....	<b>137-150</b>
حسن الجوار ودوره في بناء المجتمع	
<b>Afifuddin</b> .....	<b>151-163</b>
العلاقة الجنسية في القرآن الكريم؛ دراسة من خلال مقارنة موضوعية	
<b>Sudarman</b> .....	<b>164-175</b>
<i>Development of Paradigmatic Integratic Pattern at Fatoni Thailand University</i>	
<b>Firdaus Wajdi</b> .....	<b>176-186</b>
<i>GLOBALIZATION AND TRANSNATIONAL ISLAMIC EDUCATION: The Role of Turkish Muslim Diaspora in Indonesian Islam</i>	
<b>Mardan</b> .....	<b>187-204</b>
<i>The Qur'anic Concept on Disaster Semiotics</i>	
<b>Erwin Rismanto</b> .....	<b>205-218</b>
<i>INFORMATION FILTERS IN AL-QUR'AN PERSPECTIVE: The Identity of Indonesian Moslems in the Information Era</i>	

## التصوير الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب: مفهومه وخصائصه البارزة

Muh. Naim Madjid

Universitas Muhammadiyah Yogyakarta

Email: [naimmadjid@umy.ac.id](mailto:naimmadjid@umy.ac.id)

### ملخص البحث

يتحدث هذا البحث عن قاعدة التصوير الفني في القرآن الكريم حيث قام رائدها الشهيد سيد قطب بتطبيقها الواضحة في تفسيره الأدبي "في ظلال القرآن". ونقطة الانطلاق لهذا البحث تضع على المشكلة التي يعانيها معظم المسلمين اليوم في فهم الآيات القرآنية، خاصة في تعبيراتها المجازية. فلذلك، يعتبر الباحث بجدية أن هذا البحث ضروري ومناسب لحل المشكلة وقضية التأويلات المنحرفة عن الصحة والدقة. ويهدف هذا البحث إلى إبراز المنهج الدقيق الموحى الذي سيرشد القارئ إلى فهم تعريف التصوير الفني مفصلاً، وخصائصه البارزة الفائقة مع الأمثلة من الآيات القرآنية. وفي هذا البحث، قد استخدم الباحث المنهج التحليلي الوصفي للوصول إلى معلومات جلية ناصعة ونتائج موثوقة بها. وأهم النتائج التي توصل إليها البحث إن التصوير الفني قاعدة مفضلة وطريقة دقيقة مؤثرة للتفاعل مع الآيات القرآنية المعجزة بصفة عامة، وتعبيراتها المجازية العميقة بصفة خاصة، وكان سيد قطب قد صور لونها فنياً جديداً في الدراسة القرآنية والأدبية.

الكلمات المفتاحية: التصوير، الفن، الخصائص البارزة، التعبيرات المجازية.

### Abstrak

Kajian ini membicarakan tentang kaedah penggambaran yang berseni (*Artistic*) terhadap ungkapan-ungkapan al-Qur’an al-Karim yang telah diperkenalkan dan diaplikasikan oleh pelopornya *al-Syāhid* Sayyid Qutub dalam tafsir sastrawinya, “Dalam Bayangan al-Quran”. Kajian ini berangkat dari permasalahan yang dihadapi oleh kebanyakan masyarakat Muslim dewasa ini, yaitu dalam memahami ayat-ayat al-

Qur'an, khususnya dalam ungkapan-ungkapannya yang *majāzī*. Kajian ini perlu dan sesuai dengan upaya mengatasi permasalahan dan isu penakwilan (penafsiran) yang menyimpang dari kebenaran dan ketepatannya. Kajian ini bertujuan untuk mengungkap dan menghadirkan metode yang tepat dan inspiratif yang akan menuntun para pembaca dalam memahami konsep dan kaedah Penggambaran Artistik secara terperinci, dan mengenal karakteristik-karakteristiknya yang unggul yang disertai dengan contoh-contoh ayat al-Qur'an al-Karim. Kajian ini menggunakan metode analisis deskriptif untuk memperoleh data-data dan kesimpulan yang jelas dan terpercaya. Kajian ini menyimpulkan bahwa Penggambaran Artistik merupakan sebuah kaedah yang utama, pendekatan yang tepat dan berkesan dalam berinteraksi dengan kemukjizatan ayat-ayat al-Qur'an secara umum, khususnya terhadap ungkapan-ungkapan *majāzī*. Melalui kaedah ini Sayyid Qutub sungguh telah memberi warna baru yang unik dan berseni dalam sejarah studi al-Qur'an dan kesusastraan.

Kata kunci: penggambaran; berseni; Sayyid Qutub; *majāzī*.

### Abstract

This research talks about the theory of Artistic Imagery (AI) in the Holy Quran, where the martyr Sayyid Qutub as its pioneer developed and showed it into his literary exegesis "In the Shadow of Quran". This research is based on the Muslim's problem today in understanding of Quranic verses, especially in interpreting the metaphorical expressions. Therefore, the researcher considers seriously that this study is necessary and suitable for the salvation of the problem and arbitrary interpretation issue. This research aims to disclose the accurate and inspirational method which it conducts the readers to understand the detailed meaning of AI, and its eminent characteristics with the example of Quranic verses. The researcher uses the descriptive analytical approach in this research to arrive to the clear information and reliable results. Some important conclusions note that the AI is a preferred principle and exact approach and impressive to interact with the miracle of the Quranic verses generally and with the deep metaphorical expressions particularly, and it indicates that Sayyid Qutub has gave a new artistic color of Quranic studies and literary.

Keywords: Imagery; Artistic; the Eminent Characteristics; the Metaphorical Expressions.

## أ. المقدمة

الحديث عن التصوير الفني في مجال الأدب ليس شيئاً جديداً. إنما بدأه القدماء في التعبير عن أعمالهم الأدبية، شعرياً ونثرياً. قد اهتموا اهتماماً كبيراً بجانب الجمال حيث كانوا يعتبرون أنه عنصر مهم في تحديد النتاج الأدبي ذي فن ثمين أو لون فريد ولمس مؤثر. أما في حقل الدراسة القرآنية، فقد وضعوا القرآن الكريم أصدق حديثاً، وأحسن تأويلاً، وأجمل تعبيراً. أولئك الذين رأوا ببصائرهم نور الحق والجمال الأصيل المنبثق من أفاضه المعجزة، وتعبيراته المتناسقة، وصوره الموحية، وتراكيبه المنظمة، ومعانيه العميقة المؤثرة، وكماله اللامرتاب أبداً. بل لا يقل منهم ينكرونه ويرفضونه، والأشد من ذلك يكذبون به ويزعمون أنه سحر مبین مفترى من عبد أمي جاهل كاذب. قد أغلقوا باب عقليتهم، فضلوا ضلالاً بعيداً وتجاوزوا الحد مما قضى.

والقرآن الكريم قد أثبت شموله بكلام الله عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾<sup>1</sup>. إنه قد ترك تأثيراً وجدانياً عميقاً في قلوب السابقين الأولين من خلال جمال تعبيره الجذاب، كما حدث في عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وقال في إقراره المعهود: "فلما سمعت القرآن، رق له قلبي، فبكيت ودخلي الإسلام"<sup>2</sup>.

والجمال في التعبير القرآني قد جاهد القدماء من أهل اللغة والنحو ومن أهل البلاغة في إظهاره وإبرازه من خلال مناهج التأويل المتعددة المختلفة، وأشهرهم الإمام

<sup>1</sup>سورة الكهف، الآية: 109.

<sup>2</sup>والرواية الطويلة جاءت من رواية عطاء ومجاهد عن إسلام عمر بقول ابن إسحاق: وحديثي عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه: عطاء، ومجاهد، أو عمّن روى ذلك: إن إسلام فيما تحدّثوا به عنه، أنه كان يقول: كنت للإسلام مُباعداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية، أحبها وأسرّها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالجزيرة، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي، قال: فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك، قال: فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت: لو أتيت جئت فلاناً الخمار، وكان بمكة يبيع الخمر، لعلي أجد عنده خمرًا فأشرب منها. قال: فخرجت فجئته فلم أجد. قال: فقلت: فلو أتيت جئت الكعبة فطفت بها سبعة أو سبعين قال: فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاًه بين الركنين: الركن الأسود، والركن اليماني. قال: فقلت حين رأيته، والله لو أتيت استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأروعه؛ فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رويداً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبيلته مستقبلاً، ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلي الإسلام، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك، حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلواته، ثم انصرف، ... إلى آخرها. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، تعليق وتخريج: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ط، 1410هـ/1990م)، ج 1، ص 373-374.

عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) بكتابه المشهورين "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، والإمام الزمخشري (ت 538هـ) بتفسيره المؤلف "الكشاف". ومن المعاصرين جاء الشهيد سيّد قطب (ت 1324هـ) بفكرته الأصيلة قد اخترع مفهومًا جديدًا فريدًا، حيث حاول به أن يقوم بقفز عريض في الكشف عن سر جمال التعبير القرآني، وقد سماها بـ"التصوير الفني في القرآن". نشأت هذه القاعدة من تجربته الطويلة المؤثرة مع المصحف الشريف. وكان خوضه العميق في مجال الأدب وفي الدراسة القرآنية يجعله أديبًا متفوقًا، ومفكرًا ملهمًا، ومحررًا مؤثرًا، ومفسرًا متقنًا ملوّنًا. ونستطيع أن نرى تطبيقها المنسكب في كتابه الصغير "مشاهد القيامة"، وفي تفسيره الأدبي الكبير "في ظلال القرآن" عملاً رائعًا وجهدًا قيّمًا في الدراسات القرآنية والأدبية.

وقبل الحديث عن هذه النظرية الفريدة وخصائصها البارزة، سيتناول الكاتب أولاً ترجمة حياة سيد قطب والعوامل التي دفعته إلى اختراع قاعدته التصويرية في القرآن ومؤلفاته التي طبّقها فيها.

### ب. ترجمة حياة سيّد قطب الموجزة

اسمه سيّد بن قطب بن إبراهيم بن حسين شاذلي، ولد في قرية صغيرة في صعيد مصر "موشا"، إحدى قرى محافظة أسيوط، في تسعة أكتوبر سنة 1906م الموافق 18 من شعبان 1324 هجرية<sup>3</sup>. كانت أسرته هندية الأصل، أي من جدّه السادس، كقوله: "فلأن جدنا السادس كان هنديًا، وهو الفقير عبد الله، ولا تزال السحنة الهندية موروثه في أسرتنا"<sup>4</sup>. ويقال: قد هاجر جدّه، واتخذ بيتًا بجوار كعبة الله، ثم انتقل أحد ذريته إلى مصر وسكن هناك بقرية (موشا) على شاطئ النيل فتزوج بها، وتكاثرت الأسرة، وامتدت حتى أتت بوالد سيّد قطب، وهو الحاج قطب إبراهيم حسين الشاذلي<sup>5</sup>.

ترعرع سيد قطب في رعاية أسرته المحترمة، ونشأ في بيئة ثرية إسلامية. أي تربى في رعاية محبة والديه، ونشأ بين إخوته الذين يحبون بعضهم بعضًا، وعاش بين القرويين الذين يحترمون بعضهم بعضًا. كانت رحلة حياته في تاريخ المفكرين المسلمين

<sup>3</sup> انظر صلاح عبد الفتاح الخالدي، من الميلاد إلى الاستشهاد، (دمشق: دار القلم، ط 1، 1991م)، ص 15، وانظر أيضًا: أحمد العاصي، عقيدة سيّد قطب، ص 27، نقلًا عن أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة لعبد الله عقيل، (مكتبة المنار الإسلامية، ط 1، 1422هـ/2001م)، ص 649.

<sup>4</sup> انظر: أبو الحسن علي الحسيني الندوي، مختارات من أدب العرب (قسم النثر)، تعليق: أبو الفضل عبد الحفيظ البليايوي، (الهند: دائرة المعارف العثمانية، د. ط، د. ت)، ص 151.

<sup>5</sup> وانظر: سيد بشير أحمد كشميري، عبقرى الإسلام سيّد قطب، (القاهرة: دار الفضيلة، د. ط، 1994م)، ص 29.

المعاصرين احتلت مكانًا خاصًا في نظرة المجتمع الإسلامي. كانت عيشته تمتاز بأنماط متذبذبة، أي مليئة بالقلق والنشوة والتشويق والانتهاز والنضال والمعركة والمقاومة والعزلة والمعاناة والتضحية وغيرها<sup>6</sup>. عند نعومة أظفاره كان حماسه وجهده في الدراسة جعلته طفلًا متفوقًا في حفظ القرآن الكريم. ففي نهاية السنة الرابعة، وهو في السنة العاشرة من عمره قد تم حفظه القرآن كاملاً، هذه هي معجزته الرائعة في المدرسة الأولى في القرية<sup>7</sup>. وفي مرحلة المراهقة قد ظهرت موهبته الأدبية المميزة عندما تعلم في كلية دار العلوم في القاهرة. وتخرج منها حاملاً شهادة الليسانس في الآداب مع دبلوم في التربية ومتخصصًا في اللغة العربية عام 1933م عندما وصل عمره إلى سبعة وعشرين عامًا<sup>8</sup>. أما بعده، قبل اشتغاله الطويل بوزارة المعارف موظفًا نشيطًا وإرساله إلى أمريكا، ف قضى وقته في مهنة التدريس أكثر من ست سنوات. وكان إيفاده إلى أمريكا مستند إلى اتجاهه القوي الصادق السريع في الإسلام والدعوة، واهتمامه الكبير بالقضايا السياسية والاجتماعية والوطنية، وذلك مزيج للحكومة والرؤساء آنذاك<sup>9</sup>.

فبعد استغراقه في صراع شديد بالقلم والخطابة في المجتمع ضد الأوضاع الملكية القائمة، والإقطاع والرأسمالية منذ عودته إلى مصر، بدأ ينشر دعوته للإصلاح والتغيير على أساس الإسلام من خلال عدة وسائل: الكتابة في الصحف والمجلات، كتابة الكتب في عدة ميادين، إلقاء المحاضرات والاشتراك في الندوات، الذهاب إلى المنتديات، الإعداد الخفي والعلني للتغيير والإصلاح. قد لقي سيد الهجمات والمقاومات من مختلف الأطراف - خاصة من السياسات الحكومية المتعارضة معه - طوال مسيرته ونضاله حتى دفعته إلى ظرف حرج عريض وهو اعتقاله ودخوله السجن - لأول وهلة - في مطلع عام 1954م. وكان غوصه سيد في الأعمال الأدبية الحركية مع انضمامه إلى جماعة إخوان المسلمين حمله وجماعته إلى الاعتقال مرة ثانية عام 1965م حتى سقط الحكم بالإعدام عليه وأخويه (عبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش) تحت سلطة عبد الناصر في الإثنين 13 جمادى الأولى 1386هـ الموافق 1966/8/29م في سجن "الاستئناف" بعد انتقالهم من السجن الحربي في ليلة التنفيذ<sup>10</sup>.

<sup>6</sup> مجيد، محمد نعيم، التصوير الفني في الأجزاء الخمسة الأولى من القرآن الكريم في ضوء نظرية سيد قطب: دراسة تحليلية وتطبيقية، رسالة الدكتوراه في مجال الأدب العربي، (كوالا لمبور: الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 2018م)، ص 23.

<sup>7</sup> انظر: سيد قطب، طفل من القرية، (جدة: الدار السعودية للنشر، 1945م)، ص 43-44.

<sup>8</sup> انظر: الخالدي، من الميلاد إلى الاستشهاد، ص 74-75.

<sup>9</sup> انظر: مجيد، محمد نعيم، المرجع نفسه، ص 27.

<sup>10</sup> انظر: الخالدي، المرجع السابق، ص 276، و 479.

وجدير بالذكر أن كتابة سيّد للمقالة الصحفية سبباً رئيساً في ظهور بعض مؤلفاته. فكتابه "التصوير الفني في القرآن" - وهو أول كتاب إسلامي له أصدره في شهر أبريل - نيسان - 1945م عن دار المعارف بمصر - بدأه بمقالتين كتبهما على صفحات "المقتطف" عام 1939م. وقد أشار سيّد قطب إلى المظهر الأول لهذا الكتاب بقوله: "وخطر لي أن أعرض للناس بعض النماذج مما أجده في القرآن من صور، ففعلت، ونشرت بحثاً في مجلة المقتطف عام 1939م؛ وكشفت عما فيها من جمال فني، وبينت القدرة القادرة التي تصوّر بالألفاظ المجردة، ما تعجز عن تصويره الريشة الملونة، والعدسة المشخّصة". وقلت: إن هذا البحث يصلح أن يكون موضوعاً لرسالة جامعية"<sup>11</sup>. ثم ظهر كتابه الثاني في مجال القرآن مقصوداً على بيان "التصوير الفني" في موضوع من موضوعات القرآن وسماه بـ"مشاهد القيامة" عام 1947م، بما فيها من مشاهد النعيم الحسيّة والمادية في الجنة، ومشاهد العذاب الحسيّة والمادية في النار<sup>12</sup>. ومن أشهر كتبه هو تفسير كامل للقرآن سماه "في ظلال القرآن" حيث طبّق فيه فكرته الأصلية الرائعة عن التصوير الفني في التعبيرات القرآنية المعجزة. وكانت بداية كتابته عام 1952م بمقال، وتمت في نهاية الخمسينيات في السجن<sup>13</sup>. وصفوة القول، إن مسيرة سيّد الصحفية الطويلة في إنتاج الأعمال الأدبية والنقدية الحركية جعلته كاتباً أديباً ناقداً مفكراً متفوّقاً في عصره. وكذلك تعمّقه أو جهده القوي في الكشف عن سرّ تعبير القرآن جعله مفسّراً مشهوراً بقدرته الفنية يصوّر الآيات القرآنية مجسّمة محسوسة في الذهن كما سيأتي البحث عنه بشكل تفصيلي.

### ج. تعريف التصوير الفني

جاء في لسان العرب: "المصوّر هو الذي صوّر جميع الموجودات ورثبها، فأعطى كل شيء منها صورةً خاصةً، وهيئةً مفردةً يتميز بها، على اختلافها وكثرتها. ومن خلال كلام ابن سيّد: الصورة في الشكل، وما جاء في الحديث: «خلق الله آدم على صورته»، وفي قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾<sup>14</sup>، والجمع صُوْرٌ وَصُورٌ وَصُورٌ، وقد صُوّرهُ فتصوّر. وتصوّرْتُ الشيء: توهمتُ صورته فتصوّر لي. والتصاوير: التّمائيل. وقال ابن الأثير: الصورة تردُّ في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى

<sup>11</sup> سيّد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 9.

<sup>12</sup> انظر: الخالدي، المرجع السابق، ص 271، و 533.

<sup>13</sup> انظر: الخالدي، من الميلاد إلى الاستشهاد، ص 545.

<sup>14</sup> سورة الانفطار، الآية: 8.



معنى صفته. يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته<sup>15</sup>.

وتصوير (لغويًا): "رسم الأشكال، ورسم الأشخاص والأشياء على فيلم أو ورق بتأثير الضوء، أو الرسم باليد بواسطة القلم أو الريشة. وتصوير (أدبيًا): إبراز الانفعالات الداخلية والخارجية بكلمات معبرة، إمّا من خلال الوصف النقلي، وإمّا من خلال التحليل<sup>16</sup>."

بناءً على ما سبق، ورد تشابه المعنى في كلام محمد التونجي لهذا المصطلح - التصوير - وهو: "رسم الأشياء والأشكال على حجر أو ورق أو شرائح بالقلم أو بالإزميل أو بالآلة المصوّرة. وفي الجانب الأدبي: هو إبراز الانفعالات النفسية بكلمات دقيقة يبرع الكاتب بأدائها، سواء كان يطبق الوصفي النقلي أم طريق التحليل النفسي. والتصوير الثاني أدق من الأول وأكثر أهمية. لأنه يصور ما يعتمل في الوجدان من عواطف. وهذا يتطلب براعةً فائقة<sup>17</sup>". وأشار معنى الصورة إلى الشبيه والمثل، وهي التي تقابل المادة، لأن الصورة، إمّا تجسّد ماديّ كالصورة التي ينحّتها المثال، أو يرسمها الرسام، وإمّا تخيل نفسيّ يتخيّله الأديب في كتابته. وهي في كليهما تعكس الملامح الأصيلة كلاً أو بعضاً. والصورة عند الأديب تتحوّل إلى تشبيه، أو استعارة، وهي التي تُدعى الصورة البيانية. وتعتمد على الخيال والشعور، كما تعتمد على العقل والثقافة<sup>18</sup>. ثم استمر بذكر عدة أنواعها، وهي الصورة الأدبية، والصورة البلاغية، والصورة البيانية، والصورة الجانبية، والصورة الحسيّة، والصورة الرمزية، والصورة الكاريكاتورية، والصورة المهيمنة<sup>19</sup>.

أورد مجدي وهبة وكامل المهندس معنى التصوير الشّعريّ - icon - هو تصوير شخص أو شيء في القصيدة من خلال التشبيه، والاستعارة، وغيرهما، من الصور المجازية. وعرفًا كلمة "تصويري" - picturesque - في الأدب بأنها صفة لأسلوب غني بالصور المرئية يوحي إلى النفس برؤيا خيالية لا تدركها الملكات الأخرى. وهذا المصطلح يرجع إلى علم الجمال الأوروبي في القرن الثامن عشر حينما كان لفظ "تصويري" يُطلق على هذا المنظر البري الذي يثير الإعجاب، لا لما فيه من جمال طبيعة، وإنما لما فيه من عناصر تحاكي التصوير الفنيّ للمناظر البرية. وتستعمل هذه الصفة بمعنى عكسي في

<sup>15</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة: "صور".

<sup>16</sup> جبور عبد النور، المعجم الأدبي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط 1، 1979م). ص 69.

<sup>17</sup> محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1413هـ/1993م)،

<sup>18</sup> انظر: محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ص 591.

<sup>19</sup> انظر: محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ص 591-592.

الوقت الحاضر لتنطبق على المنظر الطبيعي الجدير بالتصوير<sup>20</sup>. أما اصطلاح "الصورة" - form -، فعندهما: أولاً: هي ما قابل المادة، وقد عُني أرسطو بهذا التقابل وبني عليه فلسفته كلها، وطبقه في الطبيعة، وعلم النفس والمنطق؛ ثانياً: أخذ المدرسيون بهذا التقابل، وتوسعوا فيه؛ وثالثاً: يلحظ عند "كانط" - Kant - أيضاً، فيفرق بين مادة المعرفة وصورتها، وبين مادة القانون الأخلاقي وصورته. وقيل أيضاً فيه أن الصورة عند عبد القاهر الجرجاني معناها الخلاف بين بيتين من الشعر مشتركين في معنى واحد. فينكر السرقات في الشعر جملةً، ويرى أن لكل شاعر أسلوبه، ونظمه في عرض معانيه. وذكرت أيضاً فيه عدة أنواعها، منها: الصورة البلاغية أو الصيغة البلاغية أي كل حيلة لغوية يراد بها المعنى البعيد - لا القريب - للألفاظ، أو يغير فيها الترتيب العادي لكلمات الجملة أو لحروف الكلمة، أو يحل فيها معنى مجازي محل معنى حقيقي؛ والصورة البيانية، وهي التعبير عن المعنى المقصود بطريق التشبيه أو المجاز أو الكناية، أو تجسيد المعاني؛ وصورة التركيب، أي الوسائل التي تؤثر في الترتيب الطبيعي للجملة لغرض بلاغي؛ والصورة الذهنية، وهي عودة الإحساسات في الذهن مع غياب الأشياء التي تثيرها أو تعبر عنها<sup>21</sup>.

وقد ذكر الجاحظ التصوير في كتابه (الحيوان)، فقال: "فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"<sup>22</sup>. وكذلك ما أشار عبد القاهر إلى تشبيه صياغة المعاني وتوضيح الألفاظ بالأصباغ التي تُعمل منها الصُّور، وقال: "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالذهب والفضة يصاغ منهما خاتم أو سوار"<sup>23</sup>. والصورة عنده ينبغي أن تكون متكاملة بحيث إذا حذف جزء منها انهارت أو اضطربت<sup>24</sup>. و خلاصة القول، سبقنا الحديث عن الصورة في عالم الأدب والبلاغة والنقد عند العلماء حيث استعملوا لفظ (الاستعارة) للدلالة على بعض ما تدلّ على هذه الكلمة (الصورة) الآن. ويتسع مدلولها يشتمل على عدة ألفاظ وهي التشبيه، والكناية، والمجاز، وغيرها. فعلى سبيل المثال يأتي التفاوت بين الشعراء في التصوير، فقد يأخذ شاعر

<sup>20</sup> انظر: مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (بيروت: مكتبة لبنان، ط2، 1984م)، ص107.

<sup>21</sup> انظر: مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص227.

<sup>22</sup> أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، *الحيوان*، تحقيق: عبد السلام هارون، (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1965م)، ص132.

<sup>23</sup> عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، تحقيق: رشيد رضا، (طبعة المنار، د.ت)، ص196، 389.

<sup>24</sup> عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، تحقيق: رشيد رضا، ص314.

معنى من المعاني فيخرجه بصورة بديعة كما فعله المتنبّي، ويأخذه آخر فيخرجه بصورة تشبيهية حسية كما ذهب إليه ابن الأثير، وأبي تمام، والقرطاجي. أما التصوير في سياق النصوص القرآنية، فهو ملمح أساسي يتضافر في تحقيقه اللفظ برنينه الصوتي، والجملة بتراكيبها المتنوعة وبنغماتها الداخلية، والفاصلة بإيقاعها المتلائم مع النسق اللفظي والسياق العام، والمشهد الحي بتكريس التصوير فيه إلى التجسيد الحي حركة وتأثيرًا، بل إنه ليتفرق عذب الإيقاع من آيات الأحكام والتشريع<sup>25</sup>. ويتبدى الجمال التصويري في القرآن الكريم شاملاً جوانب كثيرة تتألف جميعاً لتعطى لنا هذا الجانب الغالب في القرآن. فالتصوير سمة واضحة الدلالة، وملمح أسلوبى متفرد، اتخذ تفرد من نفس العطاء اللغوي. ومع ذلك فهو ذو خصوصية متميزة، وهو نمط في الأسلوب البياني بلغ حدّ الإعجاز، وكان تأثيره في النفوس نافذاً ومخترقاً لأعماق النفس<sup>26</sup>.

وقد علم أن اللفظ والمعنى في القرآن حقيقتان أساسيتان متضافتان في محاولة اكتشاف إعجاز القرآن الرفيع أي في الكشف عن سر جمال تعبيره. فليست المعاني فيه مجردات اعتبارية لا يدركها إلا العقل، وإنما هي صورة حية تمرّ بخيال القارئ، ويلمسها إحساسه، وتكاد أن تراها عينه. وليست الألفاظ فيه تلك الحروف التي لا تدلّ إلا على المعنى، بل هي ينبوع يفيض بالصور والأحاسيس والألوان<sup>27</sup>. وتآلف المعاني مع الألفاظ، يعطى التوحّد والانسجام في التعبير. وكأن المعاني جاءت مؤاخية للألفاظ، وكأن الألفاظ قطعت لها، وسويت على حجمها<sup>28</sup>.

فجاء الأديب الشهيد سيّد قطب يحمل كشفًا جديدًا عظيمًا رائعًا ملحوظًا في الدراسة الأدبية القرآنية، وهو طريقة أو نظرية تفسيرية تصويرية قرآنية. بنسبة هذا قال الأستاذ نصر الدين: "أهتمّ الأستاذ سيّد قطب في نظريته التفسيرية التصويرية للقرآن الكريم بفن تحليل الأسلوب على نمط حديث لا يخلو من روعة وبهاء، فهو الطريق إلى

<sup>25</sup> انظر: محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، (مكة: رابطة العالم الإسلامي، 1415هـ)، ص. 7.

<sup>26</sup> انظر: محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص. 7.

<sup>27</sup> انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، (دمشق: دار الفارابي للمعارف، ط 1، 1427هـ/2007م)، ص 197.

<sup>28</sup> انظر: محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ص. 7.

فهم وجوه الإعجاز في الخطاب المعرفي للقرآن الكريم، فإن إدراك المعرفة في القرآن إنما تقوم على تحليل الأسلوب الذي يقود إلى التدوق والإفهام<sup>29</sup>. وقد عرّف سيّد هذه النظرية – التصوير الفنيّ - تعريفاً واضحاً، كما في قوله: "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل"<sup>30</sup>.

وأضافه إلى كلامه: "فليس هو حلية أسلوب، ولا فلتة تقع حيثما اتفق، إنما هو مذهب مقرر، وخطة موحدة، وخصيصة شاملة، وطريقة معينة يفتنّ في استخدامها بطرائق شتى، وفي أوضاع مختلفة، ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة أي قاعدة التصوير"<sup>31</sup>. و"هي أجمل طرائق التعبير، وأفضلها في الفنّ والدين"<sup>32</sup>. "ويجب أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك أفاق التصوير الفنيّ في القرآن، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنعمة تقوم مقام اللون في التمثيل. وكثيراً ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور، تتملأها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان"<sup>33</sup>.

"وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة. تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات، بالمشاعر والوجدانات. فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة"<sup>34</sup>.

<sup>29</sup> نصر الدين إبراهيم أحمد حسين، وجوه الإعجاز في الخطاب الأسلوبى والمعرفى للقرآن الكريم، (كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية للنشر، ط3، 2011م)، ص161.

<sup>30</sup> سيّد قطب، التصوير الفنيّ في القرآن، (مصر: دار المعارف، د.ط. د.ت)، ص34.

<sup>31</sup> سيّد قطب، التصوير الفنيّ في القرآن ص35.

<sup>32</sup> سيّد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، (مصر: دار المعارف، د.ط. 1966م)، ص8.

<sup>33</sup> سيّد قطب، التصوير الفنيّ في القرآن، ص35.

<sup>34</sup> سيّد قطب، التصوير الفنيّ في القرآن، ص35.

وفي الأساس، للمعاني طريقتان في تصويرها، أولاً: في صورتها الذهنية التجريدية تخاطب الذهن والوعي، وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة. وثانياً: في صورتها التصويرية التشخيصية تخاطب الحس والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ شتى: من الحواس بالتناسق والإيقاع، ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء. ويكون الذهن منفرداً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس، لا منفذاً المفرد الوحيد<sup>35</sup>.

أما مدلول لفظ "الفني" حين اتخذ سيّد قطب عنواناً لكتابه "التصوير الفني في القرآن"، فلم يكن لها في نفسه إلا مدلول واحد: وهو جمال العرض، وتنسيق الأداء، وبراعة الإخراج. وأشار إليه أيضاً في قوله: "الفن في القرآن: إبداع في العرض، وجمال في التنسيق، ودقة الأداء. وشيء من هذا كله لا يقتضيه أنه يعتمد على الخيال والتلفيق والاختراع. متى استقامت النفوس وصحة الأفهام"<sup>36</sup>.

ومن هذا نعلم أن التصوير الفني في القرآن لا يمكن أن يقوم على الاختلاقات، والأوهام، والخيالات التي لا واقع لها، فالفنّ تحديداً لا يعني بالضرورة أن يكون خيالياً أو وهمياً أو قائماً على التلفيق والخداع، لكن كما هو ملحوظ يشترط لذلك الفهم صحة العقيدة واستقامة النفوس، وتحررها من الهوى والنزعة المغرضة.

خلاصة القول، نستطيع أن نقول إنّ التصوير الفني في القرآن فنٌّ من فنون التعبير -كالاستعارة، والتشبيه، والمجاز وغيرها - الذي يهتم بجمال تعبير القرآن الشاخص الحيّ، ودقته البارزة، وانسجامه المنبثق من اختلاط اللفظ والمعنى، وهو يؤدّي إلى ذوق عميق ممتع.

#### د. خصائص التصوير الفنيّ

لقد عرض سيّد قطب هذه الخصائص والطرق والألوان والأدوات والآفاق على أحسن وجه في كتابه (التصوير الفنيّ في القرآن)، وتوسّع في بيانها وفي تطبيقها وضرب الأمثلة عليها من القرآن الكريم، في كتابيه: مشاهد القيامة في القرآن، وفي ظلال القرآن. واحتوت هذه الخصائص على ثلاثة عناصر مهمّة، وهي: التخيل الحسيّ، والتجسيم الفنيّ، والتناسق الفنيّ.

#### 1. التخيل الحسيّ

<sup>35</sup> انظر: سيّد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص 8-9.

<sup>36</sup> سيّد قطب، التصوير الفنيّ في القرآن، ص 209.

قال سيّد قطب: "قليل من صور القرآن الذي يعرض صامتًا ساكنًا - لغرض فنيّ يقتضي الصمت والسكون - أما أغلب الصور، ففيه حركة مضمرة أو ظاهرة، حركة يرتفع بها نبض الحياة، وتعلو بها حرارته. وهذه الحركة ليست مقصورة على مشاهد القصص والحوادث، ولا على مشاهد القيامة، ولا صور النعيم والعذاب، أو صور البرهنة والجدل، بل إنها لتلحظ كذلك في مواضع أخرى لا ينتظر أن تلحظ فيها"<sup>37</sup>.

"ويجب أن ننبه إلى نوع هذه الحركة، فهي حركة حية مما تنبض به الحياة الظاهرة للعيان، أو الحياة المضمرة في الوجدان. هذه الحركة هي التي نسميها "التخييل الحسي"، وهي التي يسير عليها التصوير في القرآن لبث الحياة في شتى الصور، مع اختلاف الشيات<sup>38</sup> والألوان"<sup>39</sup>.

وفي كلمة أخرى، نستطيع أن نقول إنّ التخييل الحسيّ في القرآن الكريم هو تعبير الآيات القرآنية من جهة الصورة الحسيّة الخيالية، حيث تصبح الحركة فيه عنصرًا مهمًا يجعل الصورة شاخصة حية في خيال القارئ أو السامع.

أما تعبير القرآن الذي يحتوي على هذه الخصيصة، فقال ربّ العزة والجلال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَاؤِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾<sup>40</sup>.

عبّرت هذه الآية أن زكريا يشكو إلى ربه وهن العظم. وحين يهن العظم يكون الجسم كله قد وهن. فالعظم هو أصلب ما فيه، وهو قوامه الذي يقوم به ويتجمع عليه. ويشكو إليه اشتعال الرأس شيبًا. والتعبير المصوّر يجعل الشيب كأنه نار تشتعل ويجعل الرأس كله كأنما تشمله هذه النار المشتعلة، فلا يبقى في الرأس المشتعل سواد. وهن العظم واشتعال الرأس شيبًا كلاهما كناية عن الشيخوخة وضعفها الذي يعانیه زكريا ويشكوه إلى ربه وهو يعرض عليه حاله ورجاءه ..<sup>41</sup>. هذا هو اللون الذي يتمثل في الحركة الممنوحة لما من شأنه السكون. ونجد هنا يتجلّى سيّد قطب في شرحه للقرآن الكريم، وملاحظاته حول فكرة الآيات القرآنية وتركيبها وفصاحتها، ملاحظات دقيقة، في غاية من الفنّ والإبداع.

## 2. التجسيم الفنيّ

<sup>37</sup> سيّد قطب، التصوير الفنيّ في القرآن، ص 63.

<sup>38</sup> والشية: سواد في بياض أو بياض في سواد. قال الجوهري وغيره: الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره، وأصله من الوشي، والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله كالزنة والوزن، والجمع شيات. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: "وشي".

<sup>39</sup> سيّد قطب، التصوير الفنيّ في القرآن، ص 63.

<sup>40</sup> سورة مريم، الآية: 4.

<sup>41</sup> سيّد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت: دار الشروق، ط 1، ج 4، 1972م)، ص 2302.

كان الشهيد سيّد قطب يجعل التجسيم فنًّا وأسلوبًا مفضَّلًا في التنقيب عن سرِّ جمال القرآن من خلال التصوير. وهذا يدلّ على موهبته الرائعة في التعبير عن الأشياء المجردة المعنوية تصبح مجسّمة محسوسة. كما نرى علاقته القريبة بالقرآن الكريم من خلال تجربته النفسية عند الطفولة، حينما قرأ الآيات القرآنية، لقد كان خياله الساذج الصغير، يجسم له بعض الصور من خلال تعبير القرآن المعجز.

والتجسيم - في شكل التشبيه - له أمثلة كثيرة في القرآن الكريم. نذكر منها قوله تعالى في سورة البقرة: الآية 17، و 264، و 265، وفي سورة إبراهيم: الآية 18، و 24، وفي سورة النور: الآية 39، وفي سورة الجمعة: الآية 5، وغيرها. وهذه كلها تدلّ على التجسيم من قبيل التشبيه أو التشبيه بمحسوس يمتاز بأداتي التشبيه (مثل) و (الكاف). أما البلاغيون القدماء، فسموا هذا النوع تشبيهاً، ليس تجسيمًا.

فعندما جعل سيّد التجسيم خصيصةً من خصائصه، وقاعدةً من قواعده، وفنًّا من فنونه التصويرية القرآنية، فأراد معناه الواضح بتجسيم المعنويات المجردة، وإبرازها أجسامًا أو محسوسة على العموم، للوصول إلى مواضع حساسة جدًّا الحساسية<sup>42</sup>، فما يعنيه سيّد قطب هنا إلا التجسيم على وجه التصيير والتحويل، لا على وجه التشبيه والتمثيل<sup>43</sup>.

ومن هذا واضح لنا أنّ سيّدًا يقصد معناها الفنيّ ليس معناها الديني بحال. فمن الوجهة الفنيّة يقول: "وإن لها من هذه الوجهة لشيئًا، فوظيفة الفنّ الأولى هي إثارة الانفعالات الوجدانية، وإشاعة اللذة الفنيّة بهذه الإثارة، وإجاشة الحياة الكامنة بهذه الانفعالات، وتغذية الخيال بالصور لتحقيق هذا جميعه .. وكل أولئك تكفله طريقة التصوير والتشخيص للفنّ الجميل"<sup>44</sup>.

ويقرب من هذا قول زكي المحاسني عن التجسيم النفسي في القرآن حيث يقول: "نقصد بهذا التعبير إخراج الحياة النفسية إلى عالم المحسوسات. ففي القرآن مواضع لا تكاد تحدّ للتحليل النفسي وبيان ما يغشى النفوس من عوامل التصادم واللقاء"<sup>45</sup>.

والآية القرآنية التي تتضمن فيها هذه الخصيصة الثلثية - التجسيم الفني - وهي كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ

<sup>42</sup> سيّد قطب، التصوير الفنيّ في القرآن، ص. 63.

<sup>43</sup> سيّد قطب، التصوير الفنيّ في القرآن، ص. 68.

<sup>44</sup> سيّد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص. 9.

<sup>45</sup> زكي المحاسني، الأدب الديني، ودراسة أدبية من القرآن والحديث، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،

1970م)، ص. 33.

لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ<sup>46</sup>. عبّرت هذه الآية عن المعنوية المحسوسة وهي نهي عن الغيبة بين الناس، أي "لا يغتب بعضكم بعضًا. ثم يعرض مشهدًا تتأذى له أشد النفوس كثافة، وأقل الأرواح حساسية. مشهد الأخ يأكل لحم أخيه .. ميثًا ..! ثم يبادر فيعلن عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المثير للاشمئزاز، وأنهم إذن كرهوا الاغتيال! ثم يعقب على كل ما نهاهم عنه في الآية من ظن وتجسس وغيبة باستجاشة شعور التقوى، والتلويح لمن اقترب من هذا شيئًا أن يبادر بالتوبة تطلعًا للرحمة"<sup>47</sup>. هذا هو تصوير جميل أبرزه سيّد قطب بأسلوب واضح دون إطالة أو ملل، استخدم فيه قدراته الفنيّة لإبراز المعنوية المحسوسة.

### 3. التناسق الفنيّ

قد أراد سيّد قطب معنى التناسق في التعبير بقوله: "أن يبيء الأديب لحظة التعبير للألفاظ نظامًا ونسقًا وجوًّا يسمح لها بأن تشع شحنتها من الصور والظلال والإيقاع. وإن تناسق ظلالها وإيقاعها مع الجو الشعوري الذي تريد أن ترسمه، وألا يقف بها عند الدلالة المعنوية الذهنية. وألا يقيم اختياره للألفاظ على هذا الأساس وحده"<sup>48</sup>.

وقد جعل سيّد قطب التناسق الفني وسيلة للكشف عن سرّ جمال التعبير القرآني المعجز، ووضعها في خصيصتها الثالثة البارزة العالية، كما جاهر بقوله: "وإن التخييل والتجسيم الفنيّ هما الظاهرتان البارزتان في هذا التصوير، لا نكون قد بلغنا المدى في بيان الخصائص القرآنية بصفة عامة، ولا خصائص التصوير القرآني بصفة خاصة. ووراء هذا وذاك آفاق أخرى يبلغ إليها النسق القرآني، وبها تقويمه الصحيح من ناحية الأداء الفنيّ. هنالك التناسق الذي يبلغ الذروة في تصوير القرآن"<sup>49</sup>. ولهذه الخصيصة آفاق جميلة، ودرجات متميِّزة. وهذه الآفاق "ألوان جديدة، وإضافات شافية، شفت عنها إحساسات أديب كبير، ومؤمن بصير، لم يبدأ تجربته من الفراغ، ولكنه قرأ فأطال، وتأمّل فاستغرق، وعاش فأكثر المعاشة، ونوه بكل ذي رأي، وأشار إلى ما سبقه من نتاج علمي، وحصاد عقلي في مجال الدراسات القرآنية. ثم وضع

<sup>46</sup> سورة الحجرات، الآية: 12.

<sup>47</sup> انظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3347.

<sup>48</sup> انظر: سيّد قطب، النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، (القاهرة: دار الشروق، ط 7، 1413 هـ/1993 م).

<sup>49</sup> سيّد قطب، التصوير الفنيّ في القرآن، ص 74.



خلاصة فكره، وأضاف ما هدته إليه بصيرته، فجاء لمسة شافية في نسق القرآن، الذي يتبوأ قمة البيان<sup>50</sup>.

أما آية القرآن التي تدل على هذا العنصر الثالث البارز، فهو ما يلي:  
قال عز وجل: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنِي شِعْمٌ﴾<sup>51</sup>. هذا هو من دقة التناسق عبّره القرآن الكريم في مجال خاص. في هذا الظل يصوّر لوناً من ألوان العلاقة الزوجية يناسبه ويتسق مع خطوطه. قد وضع الشهيد سيّد قطب هذا التعبير الجميل في أفق الذي يبلغ الذروة في تصوير القرآن، وسماه التناسق الفني، أي إن هناك المواضع التي يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها؛ فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية. وهذه خطوة مشتركة بين التعبير للتعبير، والتعبير للتصوير، فهي مفرق الطريق بين السطوح المستوية والقمم المتدرجة. ففي الآية التي نحن بصدها ألوان من التناسق الظاهر والمضمّر، ومن لطف الكناية عن ملابسات دقيقة، وأدق ما فيه هو ذلك التشابه بين صلة الزارع بحرثه وصلة الزوج بزوجه في هذا المجال الخاص. وبين ذلك النبت الذي يخرج الحرت، وذلك النبت الذي تخرجه الزوج؛ وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح. فهذا الوصف وما أشباه ذلك، كلها تنطوي تحت استعارة في بضع كلمات<sup>52</sup>. وقال في ظلاله: أما مناسبة السياق هنا، فيتسق معها التعبير بالحرث؛ لأنها مناسبة إخصاب، وتوالد، ونماء. وما دام حرثاً فأتوه بالطريقة التي تشاءون، ولكن في موضع الإخصاب الذي يحقق غاية الحرث<sup>53</sup>.

هكذا رأى سيّد قطب هذا التعبير المعجز من جهة مختلف، يبيّن فيه جانب التنسيق بأساليبه الفنيّة، وهو بارع في هذا المجال. يقفز في موجة التعبير، ويدخل في غمسة أفاضه، وفي غمرة حروفه، حتى يثقب قاعه. فوجد فيه سرّاً من أسرار التعبيرات القرآنية العجيبة، ولمسة من لمساتها اللطيفة، ولوناً من ألوانها الفنيّة، ذلك سرّ الجمال في دقة التعبير مع المضمون، حيث جيء بلمس مؤثّر ولون فريد.

ومجمل القول إنّ استخدام القرآن للتصوير أداة ووسيلة وطريقة موحدة - يتخذها في أداء جميع الأغراض على السواء - وصلت درجة الإعجاز. وهكذا تتكشف للناظر في القرآن آفاق وراء آفاق من التناسق والاتساق، فمن نظم فصيح، إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل، إلى لفظ معبر، إلى تعبير مصور، إلى تصوير

<sup>50</sup>فتحي أحمد عامر، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، (الإسكندرية: الناشر المعارف، د.ط. 1980م).

ص373.

<sup>51</sup>سورة البقرة، الآية: 223.

<sup>52</sup>انظر: سيّد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 77-78.

<sup>53</sup>انظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج 1، ص 242.

مشخص، إلى تخييل مجسم، إلى موسيقي منغمة، إلى اتساق في الأجزاء، إلى تناسق في الإطار، إلى توافق في الموسيقي، إلى تفنن في الإخراج، وبهذا كله يتم الإبداع، ويتحقق الإعجاز.

هكذا انبثقت هذه النظرية الفريدة الموحية من دراسة رائدها الطويلة للقرآن الكريم الذي كان له فضيلة التفاعل الوجداني الحي مع الجمال القرآني، والاكتشاف النظري والتطبيقي المقنع لطريقة التعبير التصويرية الغالبة في أسلوب القرآن، وتوسيع دلالة التصوير حيث يستغرق الشطر الأعظم من سور القرآن وآياته. ولقد وجد سيّد قطب القرآن، في تفاعله معه، في قراءته المثيرة، في خياله الحسي، في ألفاظ القرآن المعجزة، في صوره المشوّقة، في تناسقه العجيب، في جمال تعبيراته الشاخصة الحيّة. وقد كشف عمّا فيها من جمال فنيّ.

#### هـ. الخاتمة

- ومن عدة نقاط مهمة التي توصل إليها الباحث، وهي كما يلي:
- 1- إن التصوير الفني الفني قاعدة مفضلة وطريقة دقيقة مؤثرة للتفاعل مع الآيات القرآنية المعجزة بصفة عامة، ومع تعبيراتها المجازية العميقة بصفة خاصة.
  - 2- قد صوّر سيّد قطب لونا فنياً جديداً في الدراسة القرآنية والأدبية بظهور نظريته الفريدة الموحية التي طبّقها في تفسيره العظيم الرائع "في ظلال القرآن".
  - 3- يركّز التخييل الحسي في الحركة المحسوسة المصوّرة من المواد النشيطة والمواد الساكنة الجامدة، مثل حركة الاستعجال في اشتعال الشيب في الرأس كالنار الموقدة واشتعلت سريعاً في التبن، كقوله تعالى في سورة مريم، الآية: 4.
  - 4- انتقال المعنى المجرد إلى المعنى المجسم يكون لونا من الخصيصة الثانية - التجسيم الفني - كتجسيم الغيبة المعنوية في أكل لحم العبد الميت كما صوّرت في الآية 12 من سورة الحجرات.
  - 5- إن التناسق الفني يبلغ الذروة في تصوير القرآن حيث وضع آفاقه المتشعبة ومنها هناك المواضع التي يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها كصلة الزارع بحرثه وصلة الزوج بزوجه في الآية 223 من سورة البقرة.

## المراجع

- القرآن الكريم والحديث النبوي.
- ابن منظور. *لسان العرب*. بيروت: دار الفكر العربي. د.ت.
- ابن هشام. *السيرة النبوية*. تعليق وتخريج: عمر عبد السلام تدمري، ج1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1990م.
- البوطي، محمد سعيد رمضان. *من ورائع القرآن*. دمشق: دار الفارابي للمعارف. ط1. 1427هـ/2007م.
- التونجي، محمد. *المعجم المفصل في الأدب*. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1. 1413هـ/1993م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. *الحيوان*. المحقق: عبد السلام هارون، ط2. مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1965م.
- الجرجاني، عبد القاهر. *دلائل الإعجاز*. المحقق: رشيد رضا. طبعة المنار. د.ت.
- حسين، نصر الدين إبراهيم أحمد. *وجوه الإعجاز في الخطاب الأسلوبي والمعرفي للقرآن الكريم*. كوالا لمبور: الجامعة الإسلامية العالمية للنشر. ط3. 2011م.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. *من الميلاد إلى الاستشهاد*، ط1. دمشق: دار القلم، 1991م.
- العاصي، أحمد عبد المقصود. *عقيدة سيّد قطب (شبهات وردود)*، ط1. جمهورية مصر العربية: دار الوفاء، 2009م.
- عامر، فتحي أحمد. *بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ*. الإسكندرية: الناشر المعارف، 1980م.
- عبد العال، محمد قطب. *من جماليات التصوير في القرآن الكريم*. مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي. 1415هـ/1994م.

- عبد النور، جبور. المعجم الأدبي. بيروت: دار العلم للملايين. ط1. 1979م.
- عقيل، عبد الله. أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، ط1. مكتبة المنار الإسلامية، 1422هـ/2001م.
- عمر، أحمد مختار. معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، ج1. القاهرة: عالم الكتب. 1429هـ/2008م.
- قطب، سيّد. التصوير الفنيّ في القرآن. مصر: دار المعارف. د.ط. د.ت.
- قطب، سيّد. طفل من القرية، جدة: الدار السعودية للنشر، 1945م.
- قطب، سيّد. مشاهد القيامة في القرآن. مصر: دار المعارف. د.ط. 1966م.
- قطب، سيّد. في ظلال القرآن، ط1. بيروت: دار الشروق. 1972م.
- قطب، سيّد. النقد الأدبي: أصوله ومناهجه. القاهرة: دار الشروق. ط7. 1413هـ/1993م.
- كشميري، سيد بشير أحمد، عبقرى الإسلام سيّد قطب، القاهرة: دار الفضيلة، 1994م.
- مجيد، محمد نعيم، التصوير الفني في الأجزاء الخمسة الأولى من القرآن الكريم في ضوء نظرية سيد قطب: دراسة تحليلية وتطبيقية، رسالة الدكتوراه في مجال الأدب العربي، كوالا لمبور: الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 2018م.
- المحاسني، زكي. الأدب الديني، ودراسة أدبية من القرآن والحديث. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. 1970م.
- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، مختارات من أدب العرب (قسم النثر)، تعليق: أبو الفضل عبد الحفيظ البلياوي، الهند: دائرة المعارف العثمانية، د.ت.
- وهبة، مجدي، والمهندس، كامل. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2. بيروت: مكتبة لبنان. 1984م.

